

**لغات الوطن العربي القديم
وموقع العربية فيه**

الدكتور رفعت هزيم

لغات الوطن العربي القديم وموقع العربية فيه

الدكتور رفعت هزيم

ملخص البحث:

التقسيم الشائع لفصيلة اللغات السامية هو التقسيم الجغرافي الذي يقسمها إلى شرقية تمثلها الأكادية؛ وغربية تضم فرعين؛ أحدهما: شمالي؛ والآخر جنوبي. ويعرض البحث آراء منتقدي هذا التقسيم، ويناقش المذاهب البديلة التي اقترحها هؤلاء في التقسيم والتصنيف؛ وكذلك في تصنيف العربية الفصحى داخل هذه الفصيلة، مبيّناً المعايير التي استندوا إليها في ذلك، ثم ينتهي إلى تقويم هذه الآراء والمذاهب.

The Classification and Subdivision of the Semitic Languages

For a long time, the classification of the Semitic languages has been carried out by naming the subgroups after the areas in which they were spoken. This geographic division divides the Semitic languages into two sections: East Semitic (Akkadian) & West Semitic with two branches; North Semitic (Canaanite, Aramaic) & South Semitic (old South Arabic, Arabic, Ethiopic). Many critical opinions were expressed in the last decades about this classification & subdivision including the grouping of Arabic in the South Semitic branch.

This paper presents different opinions & views on this issue.

أولاً: عرض المسألة:

مرّ ما يزيد عن قرنين من الزمان منذ أن ظهر مصطلح "اللغات السامية" إلى الوجود، ولكن تقسيم هذه الأسرة اللغوية وتصنيف لغاتها ظل موضع خلاف بين الباحثين زمناً طويلاً حتى انتهى إلى التقسيم الجغرافي الذي نعرفه اليوم. (انظره في الرسم التوضيحي^(١)).

ويمكن إجمال المذاهب في هذا الشأن استناداً إلى ما كان معروفاً من هذه اللغات حتى أوائل القرن العشرين في ثلاثة: أولهما: مذهب التقسيم الثلاثي الذي يجعل الآرامية في الشمال والكنعانية في الوسط والعربية في الجنوب^(٢)؛ وثانيهما: مذهب التقسيم الرباعي الذي يقسمها إلى سامية شرقية أي البابلية-الآشورية؛ وشمالية أي الآرامية؛ ووسطى أي الكنعانية؛ وجنوبية أي الحبشية والعربية^(٣). وثالثهما: مذهب التقسيم الثنائي الذي يقسمها إلى سامية شمالية تضم فروعاً ثلاثة هي: البابلية-الآشورية، والآرامية، والكنعانية، وأخرى جنوبية تضم النقوش العربية الجنوبية والحبشية والعربية^(٤). على أن تعديلاً أصاب هذا المذهب الأخير صيره ثلاثياً فأصبحت اللغات السامية -بذلك- قسمين كبيرين: سامي شرقي، أي الأكادية بلهجاتها البابلية والآشورية؛ وسامي غربي يشمل فرعين؛ أحدهما: الغربي الشمالي: ويضم الكنعانية والآرامية؛ والآخر الغربي الجنوبي: ويضم النقوش الجنوبية والحبشية والعربية. وقد ساد هذا المذهب بعد أن أخذ به نولدكة Nöldcke في الطبعة الثانية من كتابه عن اللغات السامية عام ١٨٩٩م، ثم بروكلمان Brockelmann عام ١٩٠٨م^(٥).

ولكن سهام المنتقدين تتألى منذ ذلك الحين على هذا التقسيم الجغرافي، وكانت تستند -في المقام الأول- إلى ما لاحظوه من أوجه تماثل أو تشابه بين لغات متباعدة -في هذا التقسيم- كالذي بين الأكادية والحبشية أو بين الآرامية والعربية مثلاً. ولعل ذلك هو الذي جعل أحدهم يقترح -قبل اكتشاف الأوغاريتية- تقسيماً آخر مختلفاً رتب فيه اللغات السامية التي كانت معروفة حتى ذلك العهد ترتيباً دائرياً؛ فجعل الحبشية

والنقوش العربية الجنوبية تتوسطان الأكادية والعربية؛ وجعل الكنعانية بين الأكادية والآرامية واصلًا لها -أي الكنعانية- بالعربية مباشرة^(٥)، كما أدت الاكتشافات اللغوية المتتابعة طوال القرن العشرين إلى اختلاف الباحثين في تحديد هوية اللغات والنصوص السامية المكتشفة؛ ثم في تصنيفها ضمن القسم الغربي. ولعل البداية ترجع إلى اكتشاف الأوغاريتية عام ١٩٢٩م، إذ قيل إنها كنعانية قديمة؛ وقيل إنها ليست كنعانية، بل هي شعبية مستقلة كالكنعانية والآرامية؛ ورأى بعضهم أنها أقرب إلى الأمورية. ثم تجدد الخلاف بشأن تحديد هوية اللغة التي كتب بها نص دير علا المكتشف عام ١٩٦٧م، في الأردن؛ فمن قائل إنها كنعانية؛ ومن قائل إنها آرامية. أما لغة إيبلا -وهي أحدث اللغات السامية اكتشافاً- فما تزال منذ اكتشافها عام ١٩٧٥م، موضع أخذ وردّ، إذ يرى بعضهم أنها لهجة أكادية؛ ويرى آخرون أنها كنعانية، ويرى فريق ثالث أنها تؤلف مع الأمورية والأوغاريتية قسماً خاصاً^(٦).

ثانياً: أسس التقسيم ومعايره:

وينبغي أولاً التعريف بالأسس التي يستند إليها تصنيف اللغات السامية وتقسيمها وتفرعها، إذ هي تعتمد -في الأعم الأغلب- على كيفية إعادة تأليف الأصل المشترك المفترض أي السامية الأولى أو الأم Proto semitic، ثم تمييز ما هو أصيل قديم في اللغات المتفرعة عنها، مما هو تجديد أو تطور لاحق، على أن يكون النظام الصرفي أساساً للبحث في هذه المسألة. فإذا استطاع الباحث التمييز بين ما هو قديم موروث من السامية الأولى وما هو غير ذلك، فإنه يستطيع القيام بعملية التصنيف والتقسيم الفرعي ببيان طبيعة القرابة بين أفراد هذه الأسرة اللغوية مفترضاً وجود لغات وسيطة بين اللغة الأولى وبعض أفراد هذه الأسرة، أي دون أن يشمل ذلك دائماً كل أفرادها. وأهم الضوابط -في ذلك- هو الوصول إلى التجديدات التي شارك في صنعها مجموعة من هذه اللغات، مما يعني استبعاد اللغات الأخرى غير المشاركة في هذه التجديدات. أما الموروثات المشتركة فلا أهمية لها في هذا الشأن لأنها يمكن أن توجد بصورة مستقلة

في كل لغة دون أن تمرّ المجموعة اللغوية في مرحلة مشتركة من التطور. على أن هذه التجديدات ليست ضرباً واحداً؛ فبعضها يمكن أن يكون تجديدات سلبية Negative innovations أي اختفاء بعض الظواهر اللغوية المغرقة في القدم؛ وبعضها الآخر يمكن أن يكون تجديدات إيجابية Positive innovations أي إدخال عناصر جديدة في النظام اللغوي. وبالرغم من أن هذين الضربين لا يستويان لأن بعض التجديدات السلبية قد يرجع إلى أثر التجاور أي الاتصال بلغات أخرى في المنطقة نفسها أو يحدث ضمن المجموعة اللغوية الواحدة دون أن تكون إحدى لغاتها على اتفاق في ذلك - مع غيرها، فإن هذه التجديدات الإيجابية - كذلك - قد يعود بعضها إلى تطور طبيعي يحدث في كل لغة من لغات المجموعة مستقلة إحداها عن الأخرى؛ زد على ذلك أن ثمة مصدراً آخر للتجديدات الإيجابية المشتركة هو الاستعارة أو الافتراض؛ وأهم مظاهره التأثير الذي تتركه اللغات التي كانت سائدة في المنطقة من قبل^(٧).

وبالرغم من أن هذا الاتفاق على أسس التقسيم ومعاييرها. فإن مذاهب الباحثين وآراءهم في التقسيم والتصنيف تباينت واختلفت. ولا يرجع ذلك في معظمه إلى الظواهر اللغوية نفسها، بل إلى اختلافهم في منهج اختيارها، ثم في تفسيرها وتعليلها، فمن هذه الظواهر صوت الغين المعجمة: أهو تجديد مستحدث في السامية الجنوبية^(٨)، أم هو موروث من السامية الأولى لأن وجوده في الأوغاريتية دليل على ذلك^(٩)؛ ومنها اتفاق الجعزية والعربية في حركة فاء الفعل الماضي أي الفتحة: أيعدّ تجديدًا مشتركاً فيهما^(١٠)، أم هو لا يعدو أن يكون مصادفة^(١١)؛ ومنها جمع التكسير في العربية والسامية الجنوبية الشرقية: أتعود هذه الظاهرة إلى السامية الأولى، أم هي توسع في استعمال نمط موروث من الجمع احتفظت به السامية الغربية الشمالية أيضاً^(١٢)؛ ومنها حركة حرف المضارعة: أيجوز أن تكون معياراً يفصل السامية الجنوبية الشرقية عن مجموعة أخرى تضم العربية والكنعانية والآرامية أم أن هذه الظاهرة اللغوية لا تصلح

معيّاراً لهذا الغرض^(١٣)؟ ومنها ضمير الرفع المتصل بالماضي والمضارع مع الجمع المؤنث؛ فقد ذهب بعضهم إلى أن الأصل في السامية الأولى هو الضمير *ā* - وحده، ثم حل محله الضمير *na* - في العبرية والعربية بتأثير من الضمير المنفصل لجمع المؤنث "هن" فيكون الضمير *na* - بذلك في المضارع في العربية والكنعانية تجديداً^(١٤)؛ ورأى آخرون أن الضميرين كليهما أصيلان في السامية الأولى، فالضمير *ā* - مع الماضي، والضمير *na* - مع المضارع، ثم عمّت اللغات السامية أحد الضميرين طرداً للباب على وتيرة واحدة، وهكذا عمّت الأكادية والعربية والآرامية الضمير *ā* - في حين عمّت العربية الضمير *na* - (يكتبن، كتبن)، فليس ثمة تجديد عند هؤلاء^(١٥)؛ ومنها صيغتا *iparras* في الأكادية و *yēfaccēl* في السامية الجنوبية الشرقية (ومنها الحبشية): أهما موروثتان عن السامية الأولى فتكون -بذلك- صيغة *yafcalu* في العربية والآرامية والكنعانية تجديداً مشتركاً بينهما^(١٦)، أم أن *yafcalu* هذه أصيلة في السامية الغربية فتكون صيغتا الأكادية والحبشية تجديداً^(١٧)؟

ثالثاً: مذاهب التقسيم والتصنيف:

وقد اتخذ البحث في تقسيم الفصيلة السامية وتصنيف لغاتها مسارين اثنين؛ أحدهما: عام يشمل القسم الغربي منها أو يشملها -أحياناً- كلها والآخر خاص يتصل بالعربية وموضعها من هذا القسم أو من الفرع الجنوبي منه تحديداً:

١ - الفصيلة السامية:

فأما المسار الأول فإن أصحابه وضعوا هذه المسألة -في الأعم الأغلب- في إطار أكثر شمولاً هو إطار ما يسمونه "فصيلة اللغات السامية الحامية Semito-Hamitic Languages"، إذ يرى هؤلاء أنه ليس ثمة أسرة لغوية واحدة تدعى "أسرة اللغات الحامية" في مقابل "أسرة اللغات السامية" بل هي أسرة واحدة تجمعهما كليهما. وتتفرع هذه الفصيلة عند أحدهم -وهو دياكونوف Diakonoff- إلى خمسة فروع هي: اللغات السامية، والليبية- البربرية، والمصرية، والكوشية، والتشادية. ثم يذكر أنها

مرت -من حيث التطور الزمني- بثلاث مراحل؛ المرحلة القديمة: التي حوُظف فيها على النظامين الصوتي والصرفي؛ والمرحلة الوسيطة: وفيها بدأ التحلل من بعض قيود هذين النظامين؛ والمرحلة الحديثة: التي تطور فيها النظامان المذكوران إلى شكل جديد. وهكذا قسم دياكونوف الفرع الأول -أي اللغات السامية- إلى أربع مجموعات كبرى هي:

أ- لغة الأطراف الشمالية أو الشمالية الشرقية Northern peripheral: وفيها المرحلتان القديمة والوسيطة وتمثلها كلتيهما الأكادية.

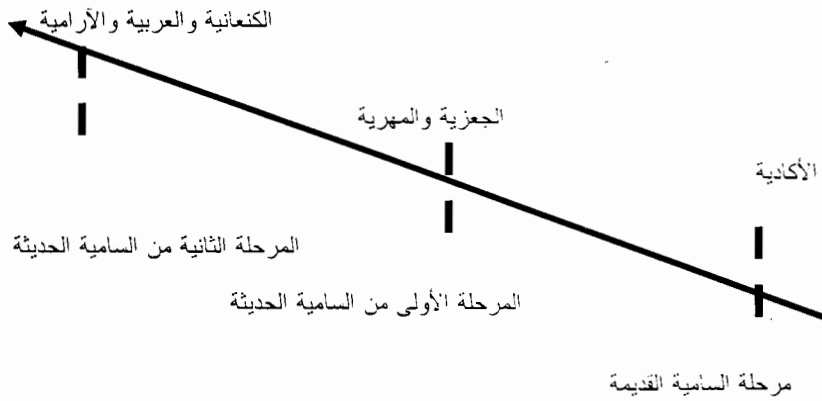
ب- لغات شمالي الوسط أو الشمالية الغربية Northern Central: وتمثل الكنعانية والأمورية والأوغاريتية المرحلة القديمة فيها، وتمثل العبرية والفينيقية البونية والآرامية بلهجاتها المختلفة المرحلة الوسيطة؛ أما المرحلة الحديثة فيها فتمثلها السريانية الحديثة.

ج- لغات جنوبي الوسط Southern Central: وتمثل العربية الفصحى المرحلة القديمة فيها، في حين تمثل اللهجات العربية العامية واللهجة المالطية المرحلة المتأخرة.

د- لغات الأطراف الجنوبية Southern Peripheral: وتضم النقوش العربية الجنوبية واللغات السامية في الحبشة، وتمثل السبئية والمعينية والقبتانية المرحلة القديمة فيها، وتمثل الجعزية المرحلة الوسيطة، في حين تمثل اللهجات العربية الجنوبية الحديثة (كالمهرية والشحرية والسوقطرية وسواها) وسائر اللغات السامية في الحبشة أي: الأمهرية والتجيرية والتجربينية والهريية والجواراجية والأرجوبا المرحلة الحديثة فيها^(١٨).

ويجعل ممثل آخر لهذا الاتجاه -وهو روسلر Rössler- بناء الفعل وتصريفه المعيار في تصنيف اللغات السامية وتحديد الصلات فيما بينها؛ فاللغة ذات الصيغتين التصريفين في المضارع؛ أي الأكادية (iparras, iprus) هي -عنده- الأقدم؛ واللغات

ذوات الصيغة التصريفية الواحدة؛ أي الكنعانية والآرامية والعربية هي الأحدث، في حين تمثل اللغات ذوات البادئة الواحدة prefix والصيغتين التصريفتين كالجعزية (yēlammed. yēmad) مرحلة وسيطة بينهما، وتبين له -وهو يبحث هذه المسألة في إطار الفصيلة السامية الحامية - أن ثمة فاصلاً بين السامية القديمة Old Semitic والسامية الحديثة Young Semitic. وقد مثل لذلك بالخط البياني التالي^(١٩):



٢- العربية الفصحى:

وأما المسار الثاني -ومحوره هو العربية- فربما كان كانتينو Cantinero من رواده، إذ قرر في بحث له أن أوجه الشبه بين النقوش العربية الجنوبية والجعزية واللهجات العربية الجنوبية الحديثة -وخاصة اشتراكها في استعمال الكاف ضمير رفع متصلاً بالفعل الماضي في حين تستعمل العربية التاء (فعلت) -تجعلها مجموعة خاصة ضمن السامية الجنوبية تقابل فيها العربية وحدها^(٢٠)، ليصبح هذا الفرع بذلك فرعاً ذا شعبتين. وتابعه في هذا المذهب -لسلاو Leslau مؤكداً الصلة الوثيقة بين لغات هذه المجموعة الجديدة مسمى إياها "السامية الجنوبية الشرقية" South-east Semitic^(٢١).

ثم عقد هتزون Hetzron مقارنة بين العربية والكنعانية من جانب والآرامية من جانب آخر في بعض الظواهر الصرفية المشتركة، كاستعمالها صيغة "يفعل" في المضارع المرفوع؛ واستعمالها التاء ضمير رفع متصل بالفعل، واشتراكها في حركات حروف المضارعة، واستنتج -من هذه التجديدات المشتركة- أن العربية لا تقابل السامية الجنوبية الشرقية، بل تؤلف مع الكنعانية والآرامية مجموعة مستقلة سماها "السامية الوسطى أو المركزية Central Semitic"، في حين احتفظت الحبشية والنقوش العربية الجنوبية واللهجات العربية الجنوبية الحديثة -عنده- بتسميتها المألوفة "السامية الجنوبية South Semitic"؛^(٢٢) فألغى بذلك الفرع الشمالي من السامية الغربية مستبدلاً به فرع "السامية الوسطى أو المركزية". وجعله هذا يعيد تقسيم الأسرة السامية استناداً إلى معيار القديم الموروث والجديد المستحدث تقسيماً ثلاثياً على هذا النحو:

- ١- الأكادية: التي تمتلك ضميرين يتصلان بالفعل ويكونان فاعلاً له هما الكاف K_ والتاء t_^(٢٣)، وكذلك مقطع المضارعة المتضمن إحدى الحركتين a أو I^(٢٤).
- ٢- النقوش العربية الجنوبية والحبشية: اللتان أدخلتا تجديداً هو تعميم الضمير المتصل الكاف فاعلاً للفعل الماضي؛ فصيغة المتكلم فيهما هي kai_ وصيغة المخاطب هي ka_، وعممتا أيضاً -في مقطع المضارعة- الحركات المغلقة.
- ٣- العربية والكنعانية والآرامية: التي أدخلت تجديداً هو تعميم الضمير المتصل التاء فاعلاً للفعل الماضي t_ فصيغتا المتكلم والمخاطب فيها هما tu_ و ta_ على التوالي، كما أنها تستعمل إحدى الحركتين a_ أو I_ في مقطع المضارعة تبعاً للحركة الأساسية التي تليها^(٢٥)، ولاحظ هتزون بأن الآرامية احتفظت بالصيغة الموروثة في المضارع المسند إلى ضمير جمع الإناث، في حين اشتركت العربية والعبرية في تجديد هو استعمال الضمير na_ لهذا الغرض، مما جعله يفصلهما

عن الآرامية ضمن هذه المجموعة، وانتهى إلى التقسيم التالي للفصيلة السامية^(٢٦). (انظره في الرسم التوضيحي ٢).

ونشر Diem دراسة مفصلة خصصها لبيان موضع العربية في السامية الغربية، وناقش فيها -مستعيناً بظواهر لغوية صوتية وصرفية جديدة- المذاهب المختلفة، فانتهى إلى أن القول الفصل في هذه المسألة أمر عسير لأن المرء "لا يستطيع البرهنة على صحة أي منها، ولا يستطيع -في الوقت نفسه- دحضها"، ولكنه مال -بالرغم من ذلك- إلى ترجيح مذهب يرى أن تطور القسم الغربي من الأسرة السامية -ويضمنه العربية- سار على هذا النحو: استحدث فرع من هذا القسم (أصبح يُسمى فيما بعد: السامية الجنوبية، أي العربية والسامية الجنوبية الشرقية) في مرحلة مبكرة ثلاثة تجديدات مشتركة هي: تحول صوت الـ P إلى صوت الفاء f، واستحداث الوزنين الفعليين فاعل، وتفاعل، والتوسع في استخدام جمع التكسير، فانفصل هذا الفرع بذلك عن سائر اللغات السامية الغربية (التي أصبح اسمها بعد ذلك: الكنعانية والآرامية). ثم تفرق أصحاب الفرع الجنوبي -بسبب هجرة طائفة منهم إلى جنوبي الجزيرة العربية إلى مجموعتين، فأما لغات المهاجرين منهم فقد عممت استعمال الكاف ضميراً للفاعل متصلاً بالفعل الماضي (وهذه هي اللغات التي أصبحت تدعى السامية الجنوبية الشرقية)، وأما المقيمون فقد اتصلت لغتهم (التي أصبح اسمها بعد ذلك العربية) اتصالاً وثيقاً باللغات السامية الغربية المتبقية (وقد أصبحت تسمى فيما بعد الكنعانية والآرامية)^(٢٧).

وناقش فوجت Voigt مذهب هتزون وما استند إليه من معايير، فوجد أن صيغة المضارع مع جمع الإناث في الأوغاريتية مماثلة لتلك التي في الآرامية، وأن اللهجات العربية الجنوبية الحديثة أقرب إلى الحبشية منها إلى النقوش العربية الجنوبية، فجعله ذلك يضم الأوغاريتية وهذه النقوش إلى السامية المركزية أو الوسطى. وأدى به هذا

إلى إعادة تصنيف السامية الغربية وتوسيع السامية المركزية لتصبح أكثر شمولاً، إذ أصبحت -عنده- فرعين؛ أحدهما: السامية الجنوبية الغربية ويمثلها: النقوش العربية الجنوبية وحدها. والآخر السامية الشمالية الغربية؛ وهو -عنده- ذو شعبتين: أولاهما تضم الأوغاريتية ولغة رسائل العمارنة؛ والأخرى تضم العربية والكنعانية والآرامية -أي ما يقابل "السامية المركزية" عند هتزون- فأصبحت شجرة اللغات السامية عند فوجت على النحو التالي^(٢٨) (انظر الرسم التوضيحي ٣).

رابعاً: تقويم وتعليق:

فمجموع المذاهب في هذه المسألة ثلاثة:

أولها: أن تصبح العربية شعبة مستقلة من السامية الجنوبية تقابل شعبة أخرى فيه تسمى "السامية الجنوبية الشرقية" وتضم الحبشية والنقوش العربية الجنوبية واللهجات العربية الجنوبية (مذهب كانتينو ثم لسلو ثم ديم).

وثانيها: أن تستبعد العربية من السامية الجنوبية لتشكل مع الكنعانية والآرامية مجموعة واحدة جديدة تسمى "السامية الوسطى أو المركزية" (مذهب هتزون).

وثالثها: أن تشكل العربية مع الكنعانية والآرامية مجموعة واحدة ولكن هذه المجموعة هنا جزء من السامية الوسطى أو المركزية؛ لأنها ليست سوى شعبة من السامية الشمالية الغربية أحد فرعي السامية الوسطى (مذهب فوجت).

فإذا محّص المرء -بعد هذا العرض الموجز- هذه المذاهب والآراء -في كلا المسارين- وما قامت عليه من أسس ومعايير، فإنه يصل -فيما أرى- إلى نتيجة واضحة في كل منهما؛ فأما في المسار الأول فالنتيجة هي أنه يصعب تقديم تقسيم بديل يفضل التقسيم الجغرافي المعروف ويخلو من العيوب والمآخذ. ومرد ذلك -فيما يبدو-

إلى عاملين: أحدهما تاريخي والآخر لغوي؛ فأما العامل التاريخي فهو أن تاريخ الأقوام في مناطق اللغات السامية الغربية - وخاصة الشمالية - يكتنفه غير قليل من الغموض والاضطراب؛ فمن ذلك مثلاً تاريخ الكنعانيين والأموريين، بل إن دلالة هذين المصطلحين ليست موضع اتفاق بين الباحثين مما يؤدي إلى إثارة الشك في الجانب اللغوي من المسألة؛ أي: هل يجوز القول بوجود شعبة لغوية تسمى الكنعانية؟ وهل يمكن استعمال مصطلح "الأمورية" - وهو مصطلح جغرافي - للدلالة على لغة ما؟ وأما العامل اللغوي فهو أن الباحثين في التقسيم والتصنيف استندوا جميعهم إلى اعتقاد بدا حتى عهد قريب حقيقة بديهية مسلماً بها مؤداه أن تاريخ القسم الغربي من اللغات السامية لا يتجاوز - في أحسن الأحوال - الألف الثاني ق. م، مما يعني وجود فجوة زمنية كبرى تفصله عن القسم الشرقي أي الأكادية. ولذا فتش الباحثون طويلاً عن أدلة أخرى لإثبات وجود للسامية الغربية يتجاوز ذلك العهد، فمنها رسوم مصرية من الألف الثالث ق. م، تمثل - فيما زعموا - أقواماً تتحدث بالسامية الغربية ومنها كذلك الأسماء الطبوغرافية القديمة في سورية الطبيعية^(٢٩).

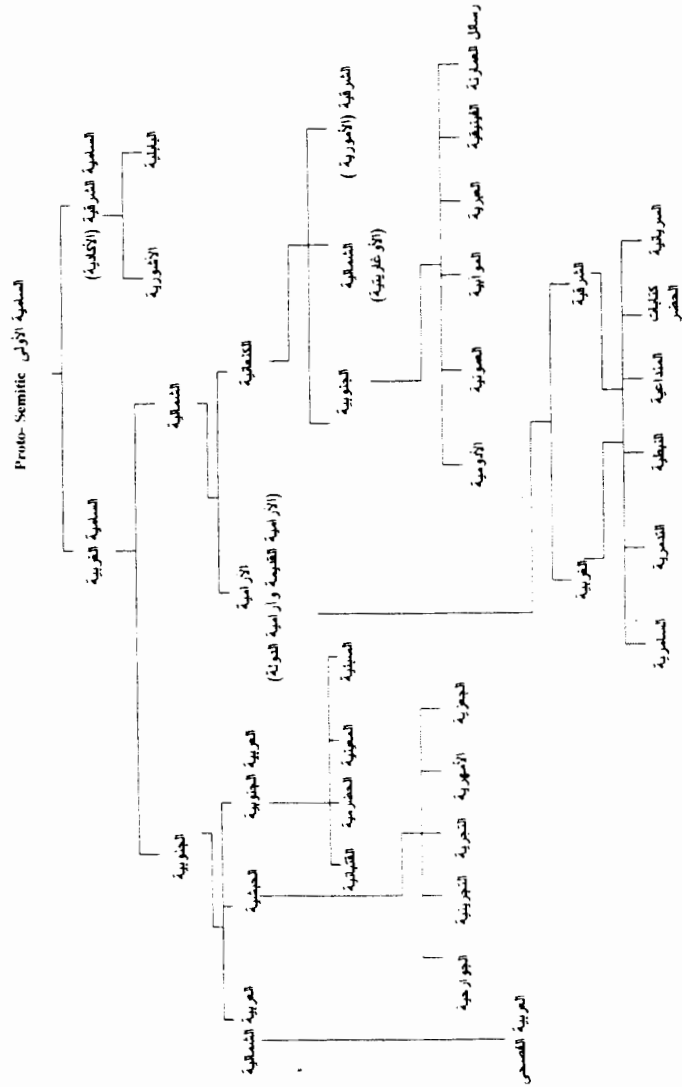
غير أن الكتابات المسمارية المكتشفة في موقع تل مردوخ (إيبلا) منذ عام ١٩٧٥م، أغنتنا عن هذا التفتيش وألقت الضوء على هذه الحقبة المجهولة من تاريخ السامية الغربية، إذ أضافت إلى لغاتها لغة جديدة ذات أهمية كبرى، فهي أولاً تميظ اللثام عن الواقع اللغوي الذي ظل الباحثون يفتشون طويلاً عن شواهد له خارج المنطقة؛ وهي ثانياً أقدم لغة سامية في سورية الطبيعية، وهي ثالثاً تكاد تكون معاصرة للأكادية أقدم اللغات السامية جميعها. ولا شك أن وصول الباحثين إلى صورة لغوية واضحة المعالم للإيبلاية سيؤثر في تقسيم السامية وتفرعها تأثيراً غير قليل.

وأما في المسار الثاني فالقاسم المشترك بين الباحثين فيه أنهم يختارون من الظواهر اللغوية ما يرون أنه حاسم في هذه المسألة ثم يفسرونه تفسيراً يوافق الافتراضات التي يرونها صواباً. ويبدو لي أن في هذا المنهج ضعفاً من ثلاثة أوجه؛ أولها: أن الباحثين ينتقون بعض الظواهر - وهي التي توافق مذهبهم - ويهملون سواها مما لا يوافقها؛ وثانيهما: أن اللغات موضع البحث وضعت على مستوى واحد من حيث تقويمها واستخلاص النتائج بالرغم من أنها تتفاوت في مدى احتفاظها بالخصائص والصفات المعروفة للفصيلة السامية، فاللهجات العربية الجنوبية الحديثة - مثلاً - ابتعدت كما يقول ألدورف Ullendorff في أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية عن تلك التي نعرفها في العبرية والعربية والحبشية وتضاءلت ثروتها اللغوية المشتركة معها^(٣٠). زد على ذلك أن بعض هذه اللغات يكاد يخلو من الصوانت مما يعني أن معرفتنا بقواعدها النحوية وظواهرها الصرفية ليست مؤكدة؛ وثالثهما: أن الأساس لهذه المذاهب كلها هو مبدأ التمييز بين الموروث القديم من السامية الأولى والتجديد المحدث في اللغات موضع البحث استناداً إلى تصور الباحثين لما كانت عليه السامية الأولى، وهو تصور لا يمكن إثباته على وجه اليقين البتة. فإذا كان الأمر كذلك فلا يكفي هذا المبدأ - فيما أرى - ليكون وحده أساساً في عملية التقسيم والتصنيف، والبديل المقترح له - عندي - هو المنهج المتكامل الذي يشمل - فوق ذلك - المجالات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية جميعاً مما يتطلب مزيداً من الدرس والبحث. ولذا يستحسن - حتى يتم ذلك - أن تظل العربية في موضعها الحالي في الفرع الجنوبي وفقاً للتقسيم الجغرافي السائد.

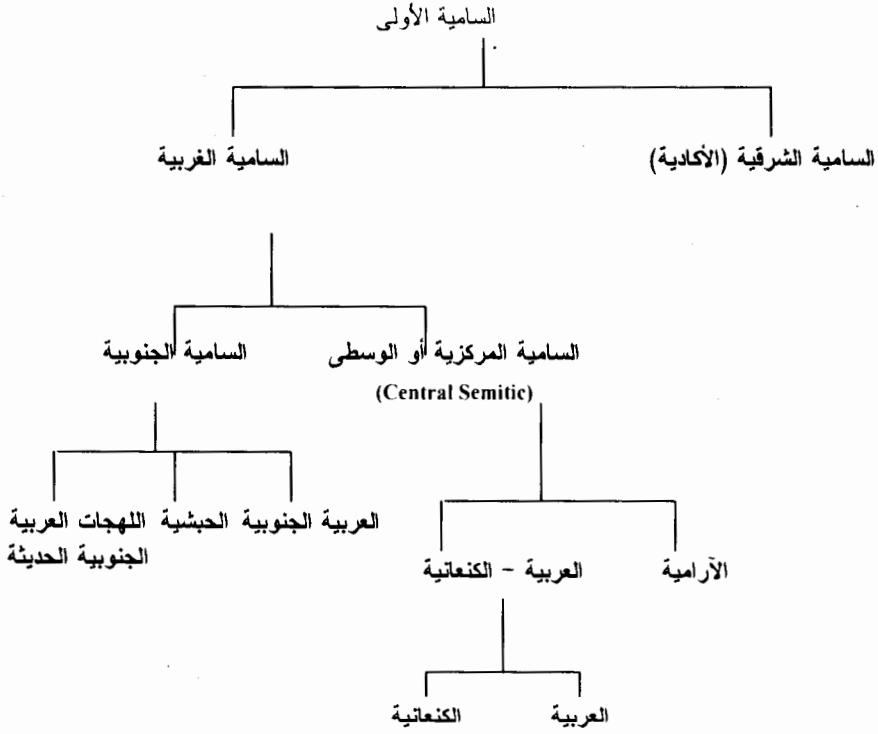
الهوامش

- (١) Eichhorn, p. 405 ولا ذكر هنا للأكادية أو الأوغاريتية أو العربية الجنوبية لأنها كانت آنذاك مجهولة.
- (٢) König, p. 12.
- (٣) Stade, p. 2ff. وكان الباحثون قد توصلوا إلى معرفة العربية الجنوبية -التي يسميها معظم الباحثين العرب "النقوش اليمنية القديمة" عام ١٨٤٢م، والأكادية عام ١٨٤٧م.
- (٤) Nöldeke, p. 19 و Brockelmann, p. 6. ولا ذكر هنا للأوغاريتية لأن اكتشاف أوغاريت كان عام ١٩٢٩م.
- (٥) هذا الترتيب الدائري منسوب إلى Landesberger، انظر: Von Soden, 1960, p. 177 وقارن بـ Diakonolf p 12.
- (٦) Von Soden, 1984, p. 11 ff.
- (٧) Hertzog, p. 93-96.
- (٨) Petracek, p. 475 f.
- (٩) Diem, p. 67.
- (١٠) Goldenberg, p. 475.
- (١١) Diem, p. 68.
- (١٢) انظر تفصيل هذه المسألة في: Diem, p. 69-71.

- (١٣) الرأي الأول لـ هتزون والثاني لـ ديم، انظر Diem, p. 67.
- (١٤) Hetzron, p103 وقارن بـ Voigt, pp. 5, 11.
- (١٥) Goldenberg, p. 477; Brockelmann, pp. 567, 574 f.
- (١٦) Diem, p. 78.
- (١٧) Brockelmann, pp. 555, 569.
- (١٨) Diakonolff, pp. 9-12.
- (١٩) Rössler, p 511.
- (٢٠) Cantineau, p. 180 ff.
- (٢١) Leslau, 4 b.
- (٢٢) Hertzson, p102 ff وأشار إلى أن العربية -ضمن هذه المجموعة- أقرب إلى العبرية الكنعانية منها إلى الآرامية.
- (٢٣) المراد هنا صيغة الـ Permansive، والضمير فيها هو Ku (a) - للمتكلم، و: ta (a) للمخاطب؛ انظر: Hetzron, pp. 93-94.
- (٢٤) Hetzron, pp. 94-102.
- (٢٥) Hetzron, p102.
- (٢٦) Hetzron, p106.
- (٢٧) Diem, pp. 81-83.
- (٢٨) Voigt, pp. 4-5&16.
- (٢٩) Von Soden, 1960, p. 179 f.
- (٣٠) Ullendorff, p. 156.



الرسم التوضيحي (١) التقسيم الجغرافي



الرسم التوضيحي (٢) تقسيم هتزون

ثبت المراجع

- Brockelmann, C. Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, I. Berlin 1908.
- Cantlneau, J. Accadien et sudarabique. In: **BSL** 33 (1932) PP. 175-204.
- Diakonoff, L Semito-Hamitic Languages. Moskau 1965-
- Diem, W. Die genealogische Stellung des Arabischen in den semitischen Sprachen. Ein ungelöstes Problem der Semitistik. In: W. Diem & S. Wild (Ed.): Studien aus Arabistik & Semitistik. Wiesbaden 1980, PP. 65-85.
- Eichhorn, J. Geschichte der neuern. Sprachkunde, I. Göttingen, 1807.
- Goldenberg, G. The Semitic Languages of Ethiopia & their classification, In: BSOAS 40 (1977), PP. 461-507
- Hetzron, R. Two principles of genetic classification. In: *Lingua* 38 (1976), PP. 89-108.
- König, F. Historisch — kritisches Lehrgebäude der hebräischen Sprache, I. Leipzig 1881.
- Leslau, W. South-east Semitic (Ethiopic & South Arabic) in: *JAOS* 63 (1943) PP. 4-14.
- Nöldeke, Th. Die semitischen Sprachen, 2. Auflage. Leipzig 1899.
- Petráček, K. Einige Entwicklungstendenzen in den südsemitischen Sprachsystemen. In: *Ar Or* 36 (1968), pp. 471-480.
- Rössler, O. Verbalbau & Verbalflexion in den semito-hamitischen Sprachen. In: *ZDMG* 100 (1950), PP. 461-514.
- Soden, W. von Zur Einteilung der semitischen Sprachen. In: *WZKM* 56 (1960) PP. 177-191.
- Soden, W. von: Sprachfamilien & Einzelsprachen in Alts semitischen: Einzelsprachen im Altse Akkadisch & Eblaitisch. In: P. Fronzaroli (Ed.): Studies on the Language of Ebla. Università di Firenze. 1984, PP. 11-24.
- Stade, B. Lehrbuch der hebräischen Grammatik, I. Leipzig 1879.
- Ullendorff, E. Is Biblical Hebrew a Language? Wiesbaden 1977.
- Voigt, R. The classification of central Semitic. In: *JSS* 32 (1987), PP. 1-21.